

إعداد: فيحاء عبد الهادي*

العنف السياسي ضد المرأة الفلسطينية**

هذه الشهادات التي أقدمها في هذه الورقة ليست سوى صورة مصغرة لمعاناة الشعب الفلسطيني الكبيرة. أمّا المرأة الفلسطينية فتعاني معاناة مزدوجة: فهي، إضافة إلى معاناة الشعب كله، تعاني مشكلاتها الخاصة كامرأة؛ تعاني قيوداً فرضها المجتمع، إلى جانب حرمانها من أبسط حقوقها الإنسانية والطبيعية التي كفلتها لها القوانين الدولية.

كلي ثقة بأن هذه الشهادات المدرجة أدناه تصور بشكل جلي التجارب الصعبة التي تمر بها المرأة الفلسطينية: إحباطها المتكرر، غضبها، مخاوفها، كبرياءها، صمودها في وجه أصعب المحن، ثم إصرارها على انتزاع حريتها التي تعني حرية شعب بأسره.

تناشد المرأة الفلسطينية من خلال شهاداتها المجتمع الدولي أن يقوم بدور أكثر فعالية، وأن يمارس ضغطاً متواصلًا لإجبار إسرائيل على الانسحاب من الأراضي الفلسطينية، والانصياع لقرارات الشرعية الدولية.

لا تطلب المرأة الفلسطينية سوى حقها في التنفس، حقها في الحياة الحرة الكريمة في دولة فلسطينية مستقلة تحترم حقوق الإنسان على أرضها. ■

(*) باحثة في التاريخ الشفوي الفلسطيني، شاعرة وناقدة أدبية، محاضرة غير متفرغة/جامعة بيرزيت.

(**) ورقة بحث قدمت بالإنكليزية في المؤتمر الدولي التاسع لصحة المرأة (12 - 16/8/2002، جامعة يورك، تورونتو - كندا)، ضمن محور العنف ضد المرأة.

الشهادة الأولى

الاسم: إيناس الصفدي

تاريخ الولادة: 1980

مكان التسجيل: بيت الراوية

تاريخ التسجيل: الجلسة الأولى: 2002/6/29؛ الجلسة الثانية: 2002/7/3

العنوان: عوريف/ نابلس

اسم الباحثة الميدانية: سمية الصفدي

تقدم تجربة إيناس الصفدي - كما هي - مثالاً لمعاناة المرأة الفلسطينية بعد اندلاع الانتفاضة الثانية ضد الاحتلال الإسرائيلي لمناطق السلطة الفلسطينية في 28 أيلول/سبتمبر 2000.

إيناس، طالبة في كلية الصيدلة في جامعة النجاح الوطنية في نابلس، تتحدث عن معاناتها الكبيرة نتيجة العنف الذي تعرضت له على أيدي الجنود الإسرائيليين، وجرّاء نظرة المجتمع إليها كأمراة، وبسبب الأوضاع الاقتصادية القاسية المفروضة عليها.

من خلال روايتها نتبين الأحداث التي سببت معاناتها خلال حملها في أثناء فترة دراستها، بينما كانت مضطرة إلى التنقل بين الجامعة وقريتها عوريف (قرب نابلس)، والأحداث التي أدت إلى موت طفلها الأول.

تقول إيناس بعد حملها في ولدها الثاني:

"سؤال أود أن أوجهه إلى الاحتلال الإسرائيلي، في نفس الوقت الذي أوجهه إلى المجتمع الدولي: إلى متى سوف نعيش في دوامة المعاناة؟ ننجب أولاداً، نربّهم، ونشاهدهم بعد ذلك يقتلون بدم بارد؟"

رواية إيناس الصفدي،

2002/6/29

أنا إيناس وجيله سميح الصفدي، من مواليد نابلس. عمري 21 سنة، هاذا إذا بدكم عمري بالسنين، أمّا عمري بالتجربة فهو أكثر من خمسين سنة، متزوجة، عندي طفل

عمره أيام، حديث الولادة، وأنا طالبة في جامعة النجاح - كلية الصيدلة - سنة ثانية.

28 سبتمبر، هذا التاريخ بيذكّرني بشغلات كثيرة، بقالي متزوجة تقريباً شهرين، حامل جديد، إيه (...) في طفلي الأول اللي مات في بداية الانتفاضة، إيه (...) بقيت قبل ما أتزوج، بقيت بنت غشيمة، ما بعرفش إشي، ما بعرفش كيف الحياة ماشية. بعرفش صعوباتها. تزوجت، سجّلت أول كورس في الجامعة، كنت مخلصّة توجيهي بعد زواجي، حصلت على معدل 94,5 في المية، وهو المعدل اللي أهّلني أخش كلية الصيدلة. بعدها صارت الانتفاضة، صارت المشاكل. قررت في يوم من الأيام إني أدشّر⁽¹⁾ الجامعة عشان طفلي، وعشان الأوضاع بدت تسوء، وعشان جوزي بقى مش لاقى شغل وقسط الجامعة عالي. بعدها قررت، بضغط الأهل وتأثير الأهل وتشجيعهم، قررت أكمل الجامعة. ومن هان، ومن هان بدي العذاب والمعاناة؛ معاناة الطريق، وأنا اللي حامل بقيت أخاف على الجنين اللي في بطني، وأخاف على جوزي اللي في الدار. كيف بدي أتأخر برّه، هم⁽²⁾ بقوا يأخرونا بالساعات برّه، وأنا بنت قرية ووضعني حساس، والناس بيسألوا كثير. من المواقف اللي مرّيت فيها: هيّ مواقف صعبة طبعاً على بنت زيي، بنت زيي صغيرة إسّه⁽³⁾ خاصة إنو معظم الأوقات يبقى معانا شباب، قليل ما نلاقي معانا نسوان، بقيت أحس بإحراج كبير وضغط نفسي كبير عليّ، وما أقدرش، في ساعات ما أقدرش أتحمّله، يعني وقت من الأوقات شو بدي أخرف⁽⁴⁾، يعني المواقف كثيرة كثيرة، بس بعض المواقف اللي بقدر أتذكّرها بقدر أكتبها وبقدر أعبر عنها.

موقف من المواقف: بقينا على طريق عورتا،⁽⁵⁾ اللي بمرق طريق عورتا بتذكّرها وبعرفها، أيام ما بقى في سدّة تراب كبيرة، يومها أجا الجيش، وقفوا على سدّة التراب، وصاروا بدهم يطخّوا على الناس. يومها أنا ما عرفتش شو بدي أساوي⁽⁶⁾، يومها وقفت

(1) أترك.

(2) الجيش الإسرائيلي.

(3) الآن.

(4) أحكي.

(5) قرية شرقي نابلس.

(6) أتصرف.

ما عرفتش وين أروح، وين آجي. وقفت والجيش قبالي، يعني اللي وقف مرةً قبالي جندي بعرف قديش أنا بقيت خايفة، وحملي بقي كبير، صار تقريباً ست شهور، حسيت إنو اللي في بطني صار يتجمع في منطقة واحدة من الخوف. شدت بس ما قدرتش غير إني أشد الشنطة اللي ماسكيتها وأوقف، والناس تنده⁽⁷⁾ علي وتقولي شو، انجيتي؟! شو صورك؟ ليش واقفة؟ لازم تنهزمي،⁽⁸⁾ يعني لازم تعملي إشي!! وأنا مش قادرة أعمل ولا إشي!! واقفة لحد ما إجت بنت الحلال وسحبتني ورحنا. يومها في نفس اليوم رجعنا على نابلس، ومرقنا طريق، طريق قد ما هي صعبة بقوا يسموها طريق السعادين⁽⁹⁾ قد ما هي صعبة، قد ما هي وعرة. وأنا بقيت حامل، وخايفة على حملي يروح مني وأتغلب، ومرقنا يومها، مش بس هادي الطريق، عدة طرق مرقناها وما همناش،⁽¹⁰⁾ بس رغم هيك كل طريق بقينا نمرقها تترك تأثير في نفسيتنا وتأثير في معنوياتنا إيه (...). وفي موقف ثاني، حابه كثير أحكي عنو لأنو إيه (...). لأنو بصير كثير تساؤلات بين الجيران وبين الأهل: مرةً بقينا مارقين عن طريق سالم.⁽¹¹⁾ انتهى دوام الجامعة تقريباً الساعة 2 ورحنا طريق سالم، بقت طريق تل⁽¹²⁾ مسكرة وطريق عورتا مسكرة، رحنا طريق سالم، وقفنا الجيش تقريباً من الساعة 2 للساعة 9 وإحنا واقفين. طبعاً السيارة كلها شباب، وما فيش غيري بنت، بنت وحيدة وما فيش معاي بليفون،⁽¹³⁾ مش قادرة أتصل بأهلي، وأنا بنت خجولة يعني تقريباً!! بعرفش شو أساوي؟ الناس اللي حوالي، حتى الشباب اللي معاي بقوا يتطلعوا علي غير شكل!! حتى تجرأت، يعني، وطلبت بليفون، واتصلت بجوزي، وقلتو: أنا على طريق سالم. بس جوزي يعني شو بدو يساويلي؟ أنا اتصلت فيه بس أطمئه، بس جوزي مش راح يقدر يساويلي شي، لأنو الطريق بقت صعبة، والجيش متروس ترس، الدنيا جيش، وين ما راح، وين ما راح الواحد يبقي الخطر حواليه. يومها ضلينا من الساعة 2 للساعة 9، بعد الساعة 9

(7) تنادي.

(8) تهربي.

(9) طريق ترابية جبلية صعبة تربط ما بين قرية تل وطريق قرية مادما.

(10) لم نهتم.

(11) قرية قرب نابلس.

(12) قرية جنوبي نابلس.

(13) هاتف نقال.

الشوفير قرّر يروح على الحاجز، حاجز الجيش. وقفنا على حاجز الجيش، وأجانا الدور بعد وقت طويل، بقى فيه سيارات كثير يومها على بيت فوريك وسالم.⁽¹⁴⁾ بس أجانا الدور صار الجندي يقول: ممنوع، يعني بدنا نرجع على نابلس!!

تخيّلوا إنتو موقفي كيف لو رجعنا على نابلس؟ كليتنا زلام، وأنا بعرفش حدا في نابلس، وبقاش في سكنات وناس تدبّر حالها. تخيّلوا موقفي إني أرجع على نابلس، أنا بنت وحيدة. فيش معاي حدا، بعرفش حدا هيك ضايعة بالليل!! يومها قالوا: ارجعوا على نابلس!! الشوفير صاحب السيارة صار يقولو طيبّ معانا واحدة، وحامل، بنت صبية!! الجندي جاوبه جواب غير شكل، قلّو: هيّ تنزل، وبتدبّر حالها، بتروح تاخذلها سيارة، واللا أبصر شو؟ وانتو اترجعوا. يومها لأول مرّة بحكي مع جندي، ولأول مرّة عينيّ ترغرغن،⁽¹⁵⁾ ويعني حسّيت حالي عن جدّ، يا بحكي يا أدافع عن حالي يا أموت!! هيّ هيّ رجعة على نابلس موتة، وقدام الجندي موتة. يومها نفرت في الجندي، يعني موش لهجة غير شكل، قتلّو: وين أرجع؟ إنتانجنيت؟ أنا بس بمرقش إلا مع هازا الشوفير، أنا بعرف إنو هازا الشوفير بدو يوصلني الدار، هيك أنا بعرف بس. يومها الشوفير استغرب، الجندي والشوفير، حتى الناس اللي معانا استغربوا من لهجتي لأنني طول الوقت بقيت بنت، وما حكيتش مع حدا!! حتى يومها اتغدّوا هم، وأنا ما رُضيتش أوكل إشي!! وأنا حامل ومنصوبة من الصبح لبعده منتصف الليل، ما أكلت إشي!! والحامل بتعرفني قديش بتبقى تعبانة وجيعانة. آه بعدها، إيه (... بعدها بالموت تمرّقنا الجندي، ووصلت حوارة،⁽¹⁶⁾ واتصلت بعميّ، وأجا أخذني. هازا موقف من المواقف الكثير صعبة عليّ!! ومرّة ثانية على طريق سالم برضه، تخيّلوا مرّه حامل بتركض، يعني كيف بدها تبقى حاسّة يعني؟ مرّه حامل بتركض، حامل بسبع شهور بتركض، ولاحكها⁽¹⁷⁾ جيب جيش!!

وفي قصة ثانية مش بعيدة عن طريق سالم، طريق عورتا، طريق عورتا اللي

(14) قرّيتان قرب نابلس.

(15) تدمع.

(16) بلدة شرقي نابلس.

(17) يلاحقها.

بيشوفها بيقول عنها طريق سهلة، بس الجيش بيخلوها أصعب منها ما في، مرّة إيه (...)
أجو الجيش على الناس، كانت سدّتين، يعني السيارة تنقل مرتين، الناس من الترابيات
والبلد. أجوا الجيش وصاروا يقولوا للناس ارجعوا، إيه (...). طبعاً الناس اتجمعت وما
رضيتش ترجع، لأنّو كل واحد بدو يروح على داره، وكل واحد إلو دار ووراه مسؤولية.
وأنا كانت المسؤولية اللي وراي مسؤولية كبيرة، وراي إنّو، زي ما قلت أنا، إنّو جوزي
بقاش موظف. وحتى لو بعد ما توظف موش راح يقدر يدفعلي قسط جامعة. عشان هيك
اشترى بقرة وصرنا نطلبها، وانروّب حليبها ونبيعه. يعني صارت تساعد، وصرنا
يعني تقريباً بالموت، صرنا نقدر ندفع قسط الجامعة. ووقتها بقى عليّ مسؤولية كبيرة
في الدار: مسؤولية بقرة، مسؤولية جوز، مسؤولية حمل، وقراية،⁽¹⁸⁾ وخاصة إنّو الجامعة
بدها قراية كثير، خاصة تخصّصي، تخصّصي كثير صعب. يومها - خينا نرجع
للجيش - يومها أجا الجيش وصار يضرب مسيل للدموع، وقنابل غاز، صرت أركض
أنا، وخايفة على إبنّي ليشمّ غاز، وأنا لشمّ غاز، وأدوخ وأوقع بين الناس!! تخيلوا بنت
واقعة بين الناس!! والناس زامينها،⁽¹⁹⁾ شو راح يبقى موقفها؟ خاصة إنّو أهل بلدي
بيرحموش. يعني يقولوا: شوهاي مجبرها تزمّ إبنها وتروح تتشحط⁽²⁰⁾ على الحواجز
وعلى الدنيا؟ وتتعب كل هالتعب؟ يعني هي مضطرة هالقده؟⁽²¹⁾ بس القراية كثير
مليحة، وكثير مفيدة، وإبنّي اللي أصلاً بقيت خايفة عليه ليطلع مشوّه، واللاّ يطلع فيه
شغلة عملة، وأتغلب معاه، وأنا بنت صغيرة لسّاتني.⁽²²⁾ يعني تخيلوا واحدة عمرها 20
سنة أول طفل لها يطلع مشوّه!!

من إيش مشوّه؟ من قنبلة غاز ضربها جندي لا يعرف الرحمة، ولا يعرف الشفقة،
ولا يعرف قديش راح تأثر عليّ ولا تأثر على غيري، خاصة إنّو غيري بقى فيه اولاد
صغار، وفيه نسوان حوامل مثلي، وفيه ختايرة،⁽²³⁾ وكبار السن ما بيتحمّلوش هازا

(18) قراءة.

(19) حاملينها.

(20) تواجه الصعوبات والمشقات.

(21) إلى هذا الحد.

(22) ما زلت.

(23) كبار في السن.

الغاز اللي بيضربوه!!

هاذا الفصل الأول في الجامعة، الفصل الأول مرّ طبيعي، طبيعي تقريباً، الدوام ما تَقْلَسْش، ظلّ زيّ ما هو، ظلينا نتأخر على الطريق. الفصل الأول حصلت على معدّل عالي لأنّو ما بقيتش تعبانة كثير، بقى حمل زغير، وقادرة يعني إني أتغلب عليه، خاصة إنهم بقوش عارفين أساليب العذاب وأساليب التفنّن. فش تسكير الطريق، تسكير الطريق ساعة، والمطر ساعة. مرّ المهم مرّ الفصل الأول على خير، وخلص الفصل الأول.

بدأ الفصل الثاني، وصارت الطريق تطول، خاصة طريق دير شرف،⁽²⁴⁾ وصار الطلاب يتأخروا إيه (...) تقريباً ساعة وربع، والأجار عليّ تقريباً تضاعف، تضاعف الأجار، والأوضاع المادية بقتش مساعدتنا، لا مساعدتني ولا مساعدة جوزي، خاصة إنّو مواصلاتي غليت، ومواصلات جوزي غليت. وخلص الفصل الثاني على هيك، وقربت الامتحانات. في فترة الامتحانات، تقريباً آخر 5/28، 5/28 بالضبط بقى ظايل⁽²⁵⁾ للامتحانات يومين، نزلوا المستوطنين على البلد. بقيت أنا وجوزي قاعدين في الدار، ما شفنا إلاّ صوت إطلاق نار، وناس من الخوف صارت تسكّر في الدور، وصارت تعبّر في اولادها البيت، وتقول المستوطنين نزلوا على البلد!! مستوطنين مستوطنة يتسهار، اللي هيّ فوق البلد. نزلوا على البلد، طاحوا⁽²⁶⁾ الشباب يحاجروا⁽²⁷⁾ عليهم، ومن ضمن الشباب طلع جوزي. ضربوا إطلاق نار، بقيت في الدار، بس ضربوا إطلاق نار، بس ضربوا إطلاق نار جميع البلد صاروا يقولوا، يقولولي أخوك تصاوب.⁽²⁸⁾ من الخوف والعجلة إنّو أخوي (تصاوب)، طلعت لبست أواعي،⁽²⁹⁾ وطلعت بسرعة عند أهلي، أهلي مشّ بعاد عن المطرح،⁽³⁰⁾ المطرح اللي فيه مستوطنين. بس وصلت هناك، باسأل عن أخوي، يعني وين راح أخوي؟ إلاّ همّ بيقولوا (...) بس استوعبت، يعني خلص إنّو أخوي

(24) قرية غربي نابلس.

(25) بقي.

(26) هجموا.

(27) يرشقون الحجارة.

(28) أصيب.

(29) ملابس.

(30) المكان.

تصاوب، وأخذه على المستشفى، نقلوه على المستشفى، صرت أقول: وين أخوي؟
 باسأل عنو، هم نقلوه على المستشفى واللا وين راح؟ واللا هم بيقولولي: أخوك وعمك
 أخذوهم معاه!! بقولهم إنو معاه، يعني معاه؟ يعني في واحد ثالث، هم بيقولولي شو إنو
 معاه؟ مع نصر!! يعني نصر جوزي!! واللا هو أتاري⁽³¹⁾ أخوي وعمي متصاوبين إصابة
 خفيفة، وجوزي هو الإصابة الخطيرة!! نقلوه على المستشفى في رفيديا.⁽³²⁾ قعد في
 رفيديا ساعة، وبعد رفيديا نقلوه على مستشفى الاتحاد. وفي الاتحاد عملولو عملية،
 عملية صعبة، هو إصابته بقت في الفخذ، أصاب الوريد الفخذي بجروح خطيرة، يعني
 راح الوريد جميعه، زرعلو وريد زراعة، فتحوا إجره⁽³³⁾ بعدها قعد في العناية المكثفة
 تقريباً 15 يوم، 15 يوم وهو في العناية المكثفة، منها أسبوع وهو في غيبوبة، ما
 يدريش عن الدنيا شو صارت!! هانا جوزي، فما بالكم أنا شو صار في؟ أنا ما
 تتصوروش شو صار في!! بعد ما عرفت إنو جوزي متصاوب، حسيت إنو الدنيا بطّلت
 تساعني، يعني بطّلت تقدر تستوعبني، إنو خلص صار وجودي أصلاً، وجودي في
 الدنيا مش مقبول، أو مش مستوعب، هيك أنا حسيت!! يعني ما بتتخيّلوش واحدة هيك
 جوزها في المستشفى فوق كل تعبها وتعب الطريق من اليهود، أخرى من المستوطنين،
 أخرى بيجوا يطخّوا، تخيلوا قديش، تخيلوا قديش تعبت وتغلّبت معاه. بعدها قعد في
 الإنعاش تقريباً 15 يوم. في هذولال 15 يوم، أنا عندي بقت فترة امتحانات، امتحانات
 في الجامعة، اضطرّيت، يعني، وكانت الطريق صعبة، اضطرّيت، وبقيت بين اللحظة
 والثانية بدّي أولد، يعني يا بولد اليوم يا بولد بكرا. وجوزي في المستشفى، وعليّ
 امتحانات!! وعشان هيك قرّرت أسكن في المدينة. سكنت، وصرت أقرأ وأروح أقرأ
 و(أروح) على الامتحان، وأروح على المستشفى. تخيلي شو بدّي أجيب؟ قديش بدّي
 أجيب علامات؟ اللي واحدة جوزها بين اللحظة والثانية بدو يموت، واللا بدو يعيش!!
 مش عارفة قديش بدّي أجيب علامات. المهم قرأت ومشت الامتحانات، وعدت على
 خير. بعدها، بعدما روج جوزي بيوم على الدار، أنا اولدت بكرا، هيك على طول اولدت.

(31) وإذا بـ.

(32) منطقة في نابلس.

(33) رجله.

جبت ولد بقى حجمه زغير، ما تسألوش ليش حجمه زغير؟ يعني ما إنتو عارفين!! قال الناس يسألوني ليش جبتيه حجمه زغير؟ تخيلوا واحدة جوزها مرمي في المستشفى، بتأدي امتحانات، والطريق صعبة، صعبة ولسه ما خلصناش حكي عن صعوبة الطريق، ومعروف ليش جبته زغير، جبت حجمه يعني وزنه كيلوين، ووزنه ما أثرش على عيشته، ما أثرش على حياته، ما أثرش عليه، ولا بشكل من الأشكال، لأنو وزنه زاد، زاد بشكل طبيعي، زي أي ولد زغير. عاش إبني عشرين يوم حياة طبيعية، ولا صار فيه إشي، ولا اشتكى من إشي. يوم من الأيام، يوم عصر، صار الولد يراجع،⁽³⁴⁾ برد وصار يراجع بقوة. أخذناه على المستشفى، على الدكتور اللي بقى في البلد يعني، صار يقول الدكتور إنو هالولد بلزمه حضانة، يعني لازم يروح على المستشفى ضروري. عشان هيك، نقلنا الدكتور نفسه في سيارته على الحاجز، أنا وعمّة الولد والدكتور بس في السيارة بقينا. رحنا على الحاجز الساعة تقريباً واحدة بالليل، بقت الساعة واحدة بالليل لما وصلنا الحاجز، لما شافونا وشرحو الدكتور الحالة، وإنو ولد زغير، ووضّحوا إنو ولد زغير كمان، بس الجندي ما رضيش يمرقنا،⁽³⁵⁾ صار يقول: إرجعوا وأطلبوا سيارة الإسعاف، وبنمركو⁽³⁶⁾ بسيارة الإسعاف!! وبعدها رجعنا على الدار، والولد بدت حالته تسوء، واتصلنا بالإسعاف واستنينا⁽³⁷⁾ الإسعاف حتى يجي. وقعدنا نستنا سيارة الإسعاف، نسيّنا سيارة الإسعاف، وإحنا شافين أمام أعيننا الولد بدو يموت!! والدقيقة صرنا نحسها بسنة!! تمر علينا سنة، وخاصة إنو فيش غير سيارة إسعاف واحدة بس في منطقتنا، سيارة إسعاف عقربا.⁽³⁸⁾ بقى عليه [السائق] نقلة ثانية، حتى يومها ما وصلش البلد، صار من العجلة، حتى يستعجل أكثر يقول: لاقونا على عينابوس.⁽³⁹⁾ ومن عينابوسنوخذكم. وصل المهم الساعة خمسة، من الساعة واحدة للساعة خمسة، والولد حالته تتدهور وتسوء، من الساعة واحدة للساعة خمسة، طلعت

(34) يستفرغ.

(35) يجعلنا نمر.

(36) نسمح له بالمرور.

(37) انتظرنا.

(38) قرية قرب نابلس.

(39) قرية قرب نابلس.

أنا والولد لحالنا في الأنبلنص،⁽⁴⁰⁾ ورحنا على المستشفى. وصلنا المستشفى الوطني، وفتنا⁽⁴¹⁾ على الطوارئ، صارت تقول الدكتورة المناوبة هناك: الحالة كثير صعبة ومتأخرة!! وإنّا تأخرنا على الولد، وهو احتمال بين اللحظة والثانية يموت. إذا عاش الساعة ما بعيش أربع وعشرين ساعة!! هيك قالت الدكتورة!! بعدها صرنا اندورّ على حضّانة، طبعاً أنا لحالي في نصّ الليل. فيش حدا معي، أنا وإبني لحالي، بعدين نقلونا لمستشفى الاتحاد، أنا والولد رحنا على مستشفى الاتحاد. نمنا تقريباً يوم، قعدنا في مستشفى الاتحاد وبعدها رجعنا على الوطني، وفي الوطني مات الولد!! مات الولد!! بس بعد إيش؟ بعد ما فرّينا،⁽⁴²⁾ بعد أنا وإياه تعبنا تعب الدنيا من اليهود، فوق ما هو في بطني موش راحمينه!! وكمان من بعد ما انولد موش راحمينه وموش مدشّرينه!!⁽⁴³⁾ يعني هاذا ضحية من ضحايا الانتفاضة، ضحية من ضحايا جنود الاحتلال، بس هيك أنا بقدر أقول. يعني هاذا الولد هاش ومات وهو في صراع مع اليهود، لأنّو أصلاً يوم ما روّحت فيه من المستشفى وقفوني على الحاجز تقريباً ثلاث ساعات، ثلاث ساعات هذول في شهر ستة، ثلاث ساعات، من الساعة 11 للساعة 2، يعني في حموة الشُّوب،⁽⁴⁴⁾ يعني بس هالولد بقى بدو يموت من أول ما جبته، يعني مش مكتوبلو الحياة، أو هم مش مخلّينو يعيش!! يعني شو ذنب طفل زغير عمره أيام!! تمر فترة حملة تعب!! ينولد تعب!! ويروّح من المستشفى تعب!! ويموت برضه تعب!! واتخيلو بني آدم، مش بنت ولا زلمة، بني آدم يوقف الموقف اللي أنا وقفته! يعني صراع كبير: جوزي مصاوب، معاق تقريباً، يعني نصف إعاقة، بدو مين يساعده، ويعاونه، وإبني مات وأنا واقفة، ضغط نفسي رهيب، رهيب، رهيب كثير. مرّت هالفترة، مرّت هالفترة، وبعدها حملت في الطفل الثاني، وقرّأت الفصل الأول. بقى حملي زغير، رغم هيك عدتها وردّيت حملت، وردّيت قرّأت، بس قرّرت إني ما أكرر الغلطة الأوّلانية وأقرأ الفصل الثاني، لأنّو أصلاً إحنا بقى وضعنا المادي مش مساعدنا إني أقرأ الفصل الثاني، وإبني

(40) سيارة الإسعاف.

(41) دخلنا.

(42) تنقلنا كثيراً من مكان إلى آخر.

(43) يتركوه لشأنه.

(44) شدة الحر.

بقيت حامل فيه، ما حبّيت أشحطه. الفصل الأول سكنته في المدينة، تخيّلني واحدة تسكن وتدشر جوزها اللي بدو مين يساعده، ومين يعاونه، ودارها ومسؤوليتها وراها، وتسكن بالأيام والأسابيع، وترجع على الدار، هاذا غير عن حكي الناس يعني. ورغم هيك، الفصل الأول كملته وأنا سكنته جميعيّاته.⁽⁴⁵⁾ أمّا الفصل الثاني فأنا بقيت عارفة إني رايحة أولاد أصلاً في آخره، وهو ما بقاش معانا قسط الجامعة، عشان هيك قرّرت إني أقعد. وصرت أسمع سمعات غير شكل من البنات اللي يسكنن، كيف هنّ مسكّر عليهن في السكن مش قادرات يوفرن أكلهن ولا شربهن، ولا قادرات يطلّعن ولا قادرات يشفن أهلهن، هاذا غير إنهن ميّتات من الخوف. وصرت أسمع سمعات، هاي في فترة ما بدّي أولاد، صرت أسمع سمعات عن اللي راحت تولد وطخّوها على الحاجز، وعن اللي ولدت في الدار وولادتها ما بقتش سهلة!! عن اللي راحت على نابلس تولد، ورجّعوها، وولدت على الحاجز!! عشان هيك، أنا اختصرت جميع هالمشاكل، ورحت سكنت. برضه حملي هاذا خفت فيه، ومر فيه فترة خوف، خوف من كيف بدّي أولاد!! يعني كيف بدّي أولاد!! كيف بدّي أدبرّ حالي!! عشان أريّح الناس اللي حوالي، وأريّح حالي، رحت سكنت تقريباً عشر أيام على بين ما ولدت. والحمد لله ولدت وجبت ولد طبيعي، وسليم، ووزنه مليح!! بس برضه،⁽⁴⁶⁾ بسأل يعني إذا إبني هاذا مريض هل يا ترى بيمرقونا على الحاجز، واللأ راح يصير فيه زيّ إبني الأولاني لا سمح الله؟ مش عارفة. يعني هاذا السؤال بحب أسأله مش بس إلّكم، بحب أسأله أصلاً للاحتلال نفسه: يعني لإمتي⁽⁴⁷⁾ رايعين نطلّنا هيك؟ لإمتي رايعين نطلّنا هيك؟ لإمتي راح نطلّنا نجيب اولاد و نتعب فيهم ونربّيهم، وهم ببرودة أعصاب، وبرودة قلب يموتوهم؟ ■

(45) كله.

(46) أيضاً.

(47) إلى متى.

الشهادة الثانية

الاسم: إيمان محمد موسى قنام

تاريخ الولادة: 1965

مكان التسجيل: بيت الراوية/ مخيم العروب

تاريخ التسجيل: 2002/7/11

العنوان: مخيم العروب/ الخليل/ فلسطين

اسم الباحثة الميدانية: لمياء شلالدة

إيمان قنام، ربة بيت، لديها خمسة أطفال بنات. عانت صعوبات كبيرة في أثناء حملها اضطرتها إلى النوم على ظهرها طوال فترات الحمل، الأمر الذي ترتب عليه إجراء عملية قيصرية في كل حالة ولادة تجنباً لتعرضها للطلق الذي يمكن أن يسبب لها نزيفاً يعرض حياتها وحياة الجنين للخطر.

حملت إيمان بمولود سادس ذكر، كان ثميناً جداً بالنسبة إليها. كان أملاً ورجاء، لا بالنسبة إليها فحسب، بل أيضاً بالنسبة إلى زوجها والعائلة جميعها. وعندما مات الولد بسبب الإغلاق المستمر وصعوبة الوصول إلى المستشفى في الموعد المحدد، انطفأ الأمل واشتعلت نفس إيمان غضباً ولوعة وحسرة.

عبّرت إيمان عن حزنها وغضبها العارم بقولها:

"في ذلك الوقت، وفي طريقنا إلى المستشفى، عبرت تلك الطرق الجبلية الوعرة، أحسست أن بطني على وشك الانفجار، كان وجع الطلق والألم رهيباً، تمنيت أن يكون معي ما يمكن أن أفجر نفسي به مع الجنود الذين كانوا يسدون الطريق علينا، ويمنعوننا من الوصول إلى المستشفى."

رواية إيمان قنام،

2002/7/11

خلال السنتين هذول⁽⁴⁸⁾ كنت حامل. كملت حملي تسعة اشهر، ما قدرتش أصل

(48) هاتين.

الدكتور إلا مرتين طول السنة، عشان ممنوع أتحرك. لازم أظل نائمة على ظهري عشان خضّ السيارات. كملت الوضع طبيعي. كنت أول عاملة عملية، يعني غلطوا معاي في مستشفى المطلع، خزقوا الرحم، خزقوا الأمعاء. نتيجته ليهك⁽⁴⁹⁾ لازم ألد بعملية، ما تعرضش لطلق، ولا تنفتح القطب الأولنيات.⁽⁵⁰⁾ نتيجة تسكير الطرق، صار معاي طلق. ولفيت في طريق خلايل اللوز.⁽⁵¹⁾ استغرقت اللفة وقت كثير، صار معاي زي نزييف، وانفتحن قطب الرحم الأولنيات وقطب الأمعاء. وصلت المستشفى إلا هو البيبي متوفي. حكولي، يعني من حد ما خشيت، عملولي تصوير، قالولي فش نبض للجنين. وبعدين كانت زي الصاعقة نزلت عليّ. بقت أختي وعمتي معاي، صرت أصوت⁽⁵²⁾ ومعطت⁽⁵³⁾ شعري، وأختي طلّعوها برّه. وكان جوزي كمان ودشروني⁽⁵⁴⁾ بالمستشفى، وعملولي عملية جراحة سريعة، طلّعوا البيبي، وصلّحوا الشئ. وخيطوا الرحم والأمعاء، وحطولي⁽⁵⁵⁾ خمسة كيلو وحدات دم، ظليت تسعة ايام في المستشفى. أربعة ايام ما نقتش⁽⁵⁶⁾ ولا حاجة غير المحلول عشان ينظفوا الأمعاء. وكان يعني خبر لبناتي!! كان عليهن امتحانات نصف السنة.

جابوا الخبر على البنات في المدرسة المدرسات والبنات، صرخن وعيطن، ما قدمناش⁽⁵⁷⁾ حتى امتحانات وروّوهن. كانت عمتي جايه عشان تحضر ولادتي. حماتي وأنا في المستشفى، وهي نازلة من السيارة كانوا ميخدين⁽⁵⁸⁾ الولد ورايحين يدفنوه. شافتهم متجمهرين على باب دار سلفي، بتحسابهم جايات يشوفني بطلع من المستشفى، فقالولها قرابيننا هيك هيك، فكان شديد عليها الخبر. صارت تلم وتعيّط وسكّتوها. كمان جوزي ثمان أشهر كان قاعد أيامها، فترتها كان الوضع المادي

(49) لهذا الأمر.

(50) الأولى.

(51) منطقة وعرة.

(52) أصرخ.

(53) شددت.

(54) تركوني.

(55) زودوني.

(56) لم أنق.

(57) لم يقدمن.

(58) أخذين.

صعب. طلع ثلاث آلاف شيكل للمستشفى. غطت الوكالة شويّه، وأنا دفعت ألف وثمانمئة. وحدتين دم جابهن سلفي، شراهن من مستشفى المقاصد. قائلن بدّهن وحدتين. وبعدين ثلاث وحدات ثاني مرّة برضو شراهن شريه.⁽⁵⁹⁾ وهيّني⁽⁶⁰⁾ لحدّ الآن بعاني!! ممنوع أحمل من هان لسنة ونص، عشان العملية، عشان يتريّح الرحم...

الباحثة: يا سيّتي الله يعوضك!! ويعني عارفة كنت حابّه أسألك: هيك إنت لما حمّلتني في الولد الحمل الأخير، مكنتيش⁽⁶¹⁾ طبعاً عارفة إنك ممكن تجيبي ولد أو بنت، بس كان هذا القرار مشترك، يعني إنك إنت وجوزك متفقين إنك تحملي؟
الراوية: آه، آه، كان في اتفاق. آه، قلنا الله يعطينا.

الباحثة: مكانش في المخيم دكتور ممكن يتابع حالتك؟
الراوية: العيادة بتروحيلها كل شهر. بتروحي عالعيادة أول شهر. تيصير⁽⁶²⁾ الشهر الرابع بفحصك الدكتور، بس مرّة في العيادة، ومرّة آخر التسع أشهر، والباقي كله على النارسات.⁽⁶³⁾ فش جهاز إلّا تا⁽⁶⁴⁾ نبضات القلب، فش جهاز تيشوف المولود!! بقيت أروح كل شهر، يوخذو ضغط، يوخذو فحص سكري، يشوفن النيرسات وضع الجنين بس، وهذا يعني من غير جهاز. الدكتور يشوفك أول الحمل وآخر الحمل.

الباحثة: طبّ حالتك كانت تستدعي دكتور أخصائي؟

الراوية: آه!! لازم، لازم.

الباحثة: فش في المخيم؟

الراوية: فش. في المخيم فش. كان الدكتور سلامة فاتح في المخيم، وبعدين انتقل على بيت لحم. من أول الانتفاضة انتقل على بيت لحم عشان الطرق. في بنتي اللي جبتها في الحمل الأولاني، كل عشرين يوم أروح على الدكتور. كانت الطريق كويسة⁽⁶⁵⁾

(59) شراء.

(60) ها أنذا.

(61) لم تكوني.

(62) ليصبح.

(63) الممرضات.

(64) الذي يخص.

(65) جيدة.

أما في هذا لأ!! ما رحتش⁽⁶⁶⁾ إلا مرتين، عن طريق خلايا اللوز، هو [الدكتور] قلّي ماتجينييش⁽⁶⁷⁾ عشان الطريق ممنوع.

الباحثة: عشان الطرق والحواجز؟

الراوية: عشان الحواجز والطرق. ما بقدرش أتحمّل كل الطرق هاذي.

الباحثة: طب ما فكرتيش مثلاً تتصلوا على سيارة إسعاف ممكن توصلك بشكل أسرع؟

الراوية: لو اتصلت برضه⁽⁶⁸⁾ بدها توخذ الوقت نفسه، نفس الشي، لأن عندنا في المخيم مسكّرين الطرق، الطرق والسدات الترابية. لو بدها تيجي السيارة، بدّي أمشي المسافة، أنا في نص المخيم. بدّي أوصل للخبط نفس الشي. معاي طلق ما بقدرش.

الباحثة: طب أنا حابّة توصفيلي بشكل أكثر اللي صار معك.

الراوية: كيف بدّي أقولك؟ وحده إلهأ أكثر من أربعناشر سنة بتستنا⁽⁶⁹⁾ في هازا الشي، فجأة يروح هيك، مع تعب تسعة اشهر!! وأنا تعبانة، صاحباتي وجاراتي وبنات عمي كلهن من اللي يساعدني في آخر فترة من ناحية شغل البيت. أنا ممنوع إني أتعب ولازم ألد قبل الموعد الطبيعي. شو بدّي أقولك؟ كانت زي كارثة، إيش الواحد بدو يحكي؟

الباحثة: الدكتور لما أول ما وصلتني المستشفى فحصك، تأكد إنو كان في نزيف أثناء الطريق؟

الراوية: آه، آه، نزيف العادة جراي⁽⁷⁰⁾ ما استنوش عليّ، يعني خدروني جراي مرقوني للعملية، لأن الطلق لو ظل شويّه كان انفجر الرحم. يعني أي دكتور في العالم بعرف إنو الرحم اللي مخطط ممنوع يتعرض لطلق، بنفتح فوراً وإن انفتحت القطب كلهيتهن تعات⁽⁷¹⁾ العملية الأولى بيصير نزيف.

(66) لم أذهب.
 (67) لا تأتي إلي.
 (68) أيضا.
 (69) تنتظر.
 (70) بسرعة.
 (71) التي تخص.

الباحثة: يعني الدكتور ليه ما حولك إنكْ تعملي مثلاً حالة ولادة قبل موعدها؟
الراوية: كانت بيت لحم مسكَّره، وعندهُ عيادة ومفش طرق، وهو قَلِّي بقدرش، معيدين ومسكَّرين الطرق، آه قلت يمكن تفتح، صار طلق فوراً وأنا قاعدة...
الباحثة: إيمان، طبَّ يعني بدِّي أسألك: حكيتلي إنو بناتك سمعوا الخبر في المدرسة، كانوا مستنيين يعني الولد البيبي، كانوا يعرفوا إنو ولد مثلاً؟
الراوية: كانوا يعرفوا. أنا قَلِّي الدكتور من الشهرين ونص، حتى أنا ما سألتوش، شَفَلِيَاياه وَقَلِّي. من شهرين ونص بعرف إنو ولد، آه، من دون ما أسأله، وعشان كمان ولد قَلِّي ما تظلكيش⁽⁷²⁾ تروحي وتيجي في الطرق وما تتعبيش. وبعد ما سمعوا البنات باقن⁽⁷³⁾ عارفات، وأبوه عارف. كل قرايبينا عارفين إنو ولد بقاء، والكل يستنا.
الباحثة: طبَّ بعدها كيف كان أثر اللي صار على الوضع الأسري؟ لو توصفيلي.
الراوية: يعني شو بدِّي أقولكْ على بنات بستنوا أخوهن إلهن خمس سنين!! عمتي وجوزي وأنا وقرايبيني كانوا يعني بقولكْ كأنك دافنة شاب اثنين وعشرين سنة!! وضع حزين فش حد في المخيم ظل ما أجاش.⁽⁷⁴⁾
الباحثة: طبَّ إنتهاالحين،⁽⁷⁵⁾ كيف وضعك الصحي والنفسي؟
الراوية: وضعي الصحي الحمد لله. بديت⁽⁷⁶⁾ أسترد صحتي النفسية ها، وها.⁽⁷⁷⁾ خايفة أعيد الحمل ترجع بنت بصحيح، وأعاود أرجع لعملية. شوفي، يعني هاذي سادس عملية بعملها. لكن الواحد رامي حمله على الله.
الباحثة: طبَّ حياتكم تغيرت هيك على مستوى جلساتكم بعد ما صار الحدث؟
الراوية: كثير كثير. كان الواحد يتمنى. كان هالحين بقول عمره سبع أشهر، كان هالحين بيئاً. أولها كانت البنات، وعلي كل إشي تغير. (...)

(72) لا تستمري.

(73) كن.

(74) إلا وأتى.

(75) هذا الوقت.

(76) بدأت.

(77) بين بين، وسط.

بالرغم من كل اللي حصل كمان برضه جوزي كان إلو فترة قاعد⁽⁷⁸⁾ ثمان أشهر، ومن حوالي شهر رجع يشتغل. بس برضه كل أسبوعين، كل ثلاث أسابيع، بجينا⁽⁷⁹⁾ مرة في الأسبوع. وبشتغل في رام الله والمسافة بعيدة، يعني بقدرش يبجي ويروح كل يوم. وتغير علينا الوضع كله. قبل الانتفاضة، قبل التسكير كنا عايشين حياة ثانية. بقدر أطلع في السيارة أصل بناتي في بيتهن في الخليل، والحين بقدرش. كمان البنات معطلات. من حقهن كأى طفلة، كأى طفل في العالم، يطلع يتفسح، يشوف إشي!! هازا كله محرومين منو. البنات زهقنات.⁽⁸⁰⁾ أهلي في غزة. بقيت كل سنة أخذهن نقضي عشرين يوم، شهر، نغير جو، أرجع أنا وياهن. أثناء ولادتي، وأثناء عمليتي، كنت في احتياج لأقرب الناس إلي، لأمي وإخواتي وأهلي. فأنا إلي سنتين محرومة، مشفتش حد، ولا شفت حد منهم غير على التلفون، حتى بقيتش⁽⁸¹⁾ أقدر أحكي معهم، ومحرومين من كل حاجة. أكثر من هيك ميشوفش أهله في السنتين، وصل لحد الموت ميشوفش حد منهم. ببقى⁽⁸²⁾ الواحد باحتياج أكثر إشي لأهله.

الباحثة: إنْتَ يعني أهلك في غزة ست إيمان. زمان صارك ما شفتيهم؟

الراوية: سنتين، من أول الانتفاضة، ماشفتش حدا. لا إحنا بنيجي ولا هم بيجوا، بس على التلفون. حتى أمي مريضة صارلها فترة، يعني لو بصحلي أروح عن عمان وعن طريق مصر وأروح أشوفها بوقرّش،⁽⁸³⁾ بس كل شي ممنوع!!

الباحثة: ماشفتيهاش برضه في حالة الولادة؟

الراوية: لأ، لا، لا أمي ولا خواتي، ولا حدا.

الباحثة: كيف هازي اللحظة بتوصفيها؟

الراوية: شو بدّي أقولك؟ طول نهارها تعييط!! كانت هيّ حضرت ولادتي في بنتي وشافت قديش بتعب!! برضه الناس عوضوني، جيراناً، وأهل المخيم. برضه الناس، كلنا

(78) عاطل عن العمل.

(79) يأتي إلينا.

(80) أصابهن الملل.

(81) لا أستطيع.

(82) يبقي.

(83) لن أتوانى.

كويسين مع بعض، وقفوا معاي...

الباحثة: إحنا متأسفين إيمان، إيشبتحي تكلمي كمان ست إيمان؟

الراوية: انشاء الله ربنا يفرجها، ويرجع الوضع طبيعي، ويزيح هالاحتلال، يرجعوا يفتحوا الطرق. بس نعيش عيشة كأى إنسان، كأى واحدة في العالم، ويرجعوا الرجال تعونا،⁽⁸⁴⁾ اللي بروح كل أسبوع، كل شهر على بيته، بشوفش اولاده، لدرجة إنو الليلة بنتي صابها مغص، معرفتش وين أروح فيها الساعة اطنعش ونص⁽⁸⁵⁾ في الليل، غير أخذتها على الصيدلي عندنا هان في المخيم، أعطاهها مسكن. إن شاء الله يرجع الوضع طبيعي.

الباحثة: طب ست إيمان مفكرتيش تعملي أي ردة فعل، أو حتى مجرد تفكير، للي

صارك تجاه أي حدا كان؟

الراوية: لو صحلي⁽⁸⁶⁾ وأنا على المحسوم⁽⁸⁷⁾ - والله العظيم قلت لأختي: من كثر

الواحد ما بشوف، إلا بعمل عملية انتحارية وبفجر حاله - يعني لو كان معايشي

لفجرتهم على المحسوم. ■

(84) رجالنا.

(85) اثنتا عشرة ونصف.

(86) لو أتيج لي.

(87) كلمة عبرية تعني الحاجز.

الشهادة الثالثة

الاسم: نعمه حسين (أم نادر)

تاريخ الولادة: 1938

تاريخ التسجيل: 2002/7/7

العنوان: كفر قليل / نابلس / فلسطين

اسم الباحثة الميدانية: سمية الصفدي

أم نادر، تبلغ من العمر 64 عاماً، زوجة وأم لتسعة صبيان وأربع بنات، وهي جدة أيضاً. قتل الإسرائيليون ولديها سامي وناهد، أمّ علاء الذي يبلغ من العمر 18 عاماً فهو سجين لدى الجيش الإسرائيلي منذ ثلاثة أشهر.
قالت أم نادر بينما الدموع تنهمر من عينيها:

"عندما سمعت نبأ استشهاد ولديّ زغردت كما تفعل أمهات الشهداء جميعهن. بالنسبة إلينا تعبّر الزغرودة عن أسى عميق وحزن لا يمكن وصفه، بالرغم من أننا نستخدم الزغرودة نفسها أثناء الأعراس. كيف يمكن أن تشعر أم عند فقدان ابنها؟ وماذا عن فقدها اثنين؟ كيف يمكن أن يصدق عاقل أن الأم يمكن أن ترسل ابنها إلى الموت، وأن تكون سعيدة بذلك؟"

رواية نعمة حسين (أم نادر)،

2002/7/7

نعم أنا أم نادر، أم الشهداء، أم سامي وناهد [تبكي]. وفي عندي الله يخلينا ويخليكم نادر الكبير، وفي كمان اثنين: واحد اسمه طایل وواحد اسمه وائل، واحد في أميركا، وواحد في الكويت؛ طایل في الكويت، ووائل في أميركا. أنا عندي تسعة اولاد: في عندي هون نائل، بيجي بعده سامي الله يرضى عليه ويرحمه، بيجي بعده عايد موجود الحمد لله، بيجي الشهيد ناهد على راس عايد، الله يرضى عليهم، وفي عندي ماهر وأصغر شي علاء. وفيه عندي أربع بنات هون.

يعني لّمّا مثل اولادي هيك شباب واستشهدوا، الله يرضى عليهم، شو بدها تبقى

حياتنا! كلها مقت في مقت،⁽⁸⁸⁾ عايشين على أعصابنا، شو بدو يبقو حالنا! الله يرضى عليهم، الله يسامحهم! شو بدّي أقول؟ شو بدّي أحكيك!

الباحثة: ممكن تحكي لي عن الأحداث اللي كان يقوم بها اولادك، وعن المعاناة اللي كنت بتحسّي فيها. ممكن تحكيلنا اياها؟

الراوية: والله كانوا يطلعوا ويروحوا وييجوا وإحنا عايشين على أعصابنا! الله يرضى عليهم، والله ما بقوا يحولنا، إلا ندرى من الناس إنهم رايعين ولا جايين! وين ما في مواجهات بطلعوا. بدّي أحكيك يوم ما استشهدوا: هناك النهار، سامي كان يشتغل في الدار. كان عنده شغل خاص إلو، ظل تقريباً لبعده الظهر. طلعت أنا هناك النهار على دار أخته حدنا. البيت قريب. تغذينا هناك، وروّحنا العصر. فيه أخوه اللي بالكويت اتصل فينا يحكي معنا، وقلّي: وين إخوتي، وين الشباب؟ قتلّو والله يمّا كلهم طاشيين،⁽⁸⁹⁾ فش حدا في الدار! بعد ما حكى أخوه، إلا هو جاي سامي. قتلّو يمّا أخوك اتصل هسه،⁽⁹⁰⁾ وبسأل عنكم. قال: شو أخباره؟ قتلّو والله الحمد لله، وبسّم عليكم. قعد ما غاب تقريباً، الله أعلم بعد العصر غاب بيجي ساعة. طلع، أجا قبل المغرب، أجا يحكي لي: يمّا راسي بوجعني، اعمليلي كاسة ليمون، وعبر وتمدد على التخت. عملتوكاسة ليمون، شربها وحط راسه ونام على التخت، تقريباً لبعده المغرب، أجوا اصحابه بندهوا⁽⁹¹⁾ عليه، وقلولو: في عندك ناس تحت بستنوا⁽⁹²⁾ فيك. نزل عندهم، عنّا ديوان تحت بقعدوا فيه بشتغلوا.

الشهيد ناهد بدو يروح يشتغل بداره، بيته جديد بصلّح فيه. قاعدة أنا بصلّي، قلّي يمّا بدك تطلعي معنا، ظل واقف تخلصت صلاه. قتلّو: يمّا أخوك بدو يحكي معنا من الكويت. اتصل فينا. إن صار إلي نصيب يرجع ماشية. نزل أخذ ولاده ومرته وظل نازل، وظل لبعده المغرب وهو يشتغل بالدار، وجاب اولاد أخوه: اولاد الشهيد سامي، وأجا، وبدو يروح يطلق راسه، وقال لمرته: بدّي أغسل وأروح أحلق. ولقيهم في الدار عندهم

(88) حزن.

(89) متفرقين.

(90) الآن.

(91) ينادون.

(92) ينتظرونك.

مجموعة شباب، تأخر، التهي⁽⁹³⁾ معاهم. شربوا قهوة وقعدوا وانبسطوا، وردوا جابوا حليب، غلوههم وشربوا، هم⁽⁹⁴⁾ والشباب، وما شاء الله عنهم. إحنا يا غافل إلك الله، قاعدين وما نعرف شي! فيه عنا المستوطنة، بتصير تطخ⁽⁹⁵⁾ علينا، على البلد. بروحو واطلعوا الشباب بيصيروا يراقبوا فيهم. وصى أخوه، بدو غرض من الدار مع ولد. قلو: لأ أنا اللي بدّي أطلع. وصى سامي قال: ودولي⁽⁹⁶⁾ غرض مع الولد، مع صاحبه، قلمهم: لأ، أنا اللي بدّي أطلع عنده. قال لأبوه خليك في السيارة، استننا هون باب الدار، ما ترحش⁽⁹⁷⁾ تارجع. طلع عند أخوه فوق البلد، فوق الدار اللي إحنا فيها. والله إحنا قاعدين، أنا نايمة، ما سمعت إلا هالضربة طلعت! سبحان الله، ربنا كريم! ما حسيت بشي، ولا كإني بعلم بشي! طلعت ومسكت الاولاد الصغار، خايفين وبدّي أنزلهم على البيت، تحت عنّا بيت ثاني. وين الشباب يا أبو نادر؟ بقلي: بقولوا في إصابات وهسه بيجو. طلعت عالحارة، طلعت عند هالناس، كل الناس متجمعة، وفيه سيارات الإسعاف واقفة، قتلهم: خلوني أطلع أشوف شو فيه. قلولي: لا يا حجة ما بتقدري، في يهود، ومش عارفة إيش. رديت رجعت على البيت، رديت نزلت عن طريق ثانية، قتلهم دخيلكم⁽⁹⁸⁾ خذوني خلوني أشوف، خلص قلبي ماكلني [تبكي]. قالوا: يا حجة بنقدرش. أجا إبني الكبير، داره على الضاحية، سمع في الخبر، وسمع الصوت، وسمع في اللي صار. أجا طلع لقيهم صاروا ماخذين الشباب ورايحين. لحقهم على نابلس، على المستشفى. وراح شاف إخوته، ورجع أجا عليّ وقليّ: يمّا، زغردي يمّا، إلك شهيدين عن كل البلد. كل البلد حاضرة، وجامعة، وكل الناس، من بلاطة⁽⁹⁹⁾ البلد، من الضاحية، ومن المخيم متجمعين، وأنا مش داريه ولا حدا قلّي. كل هالناس طرش خرس، ما حدا بيحكي ولا حدا قادر يلفظ. شو بدّي أعمل! الحمد لله على اللّي منّ الله، الله يرضى عليهم، الحمد لله في كل وقت وفي كل ساعة. بقول الحمد لله، إن شاء الله من عبیده

(93) انشغل.

(94) هم.

(95) تطلق النار.

(96) أرسلوا لي.

(97) لا تذهب.

(98) أرجوكم.

(99) ضاحية من ضواحي نابلس.

الصابرين، ونحن صابرين، والحمد لله، الله يرضى عليهم! شو بدّي أقول أكثر من هالقد.⁽¹⁰⁰⁾ مش قادرة أحكي أكثر من هالقد! الحمد لله على كل حال، الحمد لله. شو بدّي أحكي! هينا عايشين في مقت! على أعصابنا. الشهيد ناهد عنده ثلاث بنات، والصغير، سامي الله يرحمه، ولدين وبنت! الله بعلم فينا كيف عايشين!

الباحثة: حجة، لو كنت تعرفي إنهم بدهم يستشهدوا شو بتعملي؟

الراوية: والله يا حبيبتي أنا لو بدّي أقدر، ما بقدر أمنع حدا، لأنه المقدّر وارد. فش أعز من الولد على أمه! ولا إشي بعزّي الأم. فش أعز من إبنها إلاّ اللي خلقه. بس شو؟ ما باليد حيلة، قدر الله! والحمد لله. والله القدر المقدّر لا بد منو. والله يا حبيبتي ما بقدر! والله لو بقدر أمنعهم لأمنعهم! بس ما بقدر، خلص، نصيبهم ناداهم! الله يرضى عليهم. الله يرحمهم. إجعل مثواهم الجنة يا رب! آه يا حبيبتي يمّا شو بدّي أساوي! شو بدّي أحكي! شو بدّي أقولك أكثر؟

الباحثة: حجة، هلاّ متذكّرة، في إم محمود العابد اللي من غزة، اللي ودّعت ابنها من شان يروح يعمل عملية استشهادية، شو رأيك في الموقف هازا؟

الراوية: الله يجبرها ويكون إلها معين! أنا ما أنا قادرة أوصف هذي كالمرة.⁽¹⁰¹⁾ يعني الواحد طالع من إيد، بس خلص ما بتقدرش غير هيك تقول! ما منقدر إلاّ هيك نحكي! لأنهم طالعين وربنا رايدلهم. إحنا ما باليد حيلة، بس هازا اللي بنقوله. إلاّ في إم بتصفت⁽¹⁰²⁾ إبنها؟ في إم بتصفت إبنها يروح قدامها؟ بس إرادة ربنا هيك. أكثر من هالقد ما بحكي [تبكي].

الباحثة: حجة، كفر قليل في هاي الانتفاضة تعرضت لقصف كثير، بدّي تحكي كيف كنتوا تتصرفوا في وقت القصف؟

الراوية: والله يا حبيبتي مثل المصروعين نزم⁽¹⁰³⁾ هالاولاد، على أعصابنا، بدون عقل، وبدون وعي، وين في بيت، وين في مطرح نقعد ونخبّي هالاولاد، ونظب⁽¹⁰⁴⁾ حالنا

(100) هذا القدر.

(101) المرأة.

(102) يهون عليها.

(103) نجمع.

(104) نتواري داخله.

فيه. والله يا ستي غير هيك ما بنقدر! شو بدنا نعمل. وهاي الواحد في هاي الأوقات إللي إحنا فيها حرجة. الله بعلم، الواحد شو بدو يبقى حاله، كلهم عايشين على أعصابهم. يعني أكثر من اللي شفناه شو بدو يصير أكثر؟ والله يا خالتي تحملنا كثير، وشفنا كثير! الله بعلم فينا! الحمد لله. بس شو بدنا نعمل؟ والله لو ما في خيانة، الله يخونهم اولاد الحرام! الله يخونهم! خيانة! الخيانة إللي ذبحتهم. ولو كلهم يد واحدة ومستعدين ما صار هاللي صار! شو بدّي أقول؟ الله يغضب عليهم!

الباحثة: متذكرة حجة تاريخ استشهاد اولادك؟

الراوية: آه يا حبيبتي، 11/24. هيه!⁽¹⁰⁵⁾ صارلنا في السنة الثانية، أول الأحداث، الانتفاضة في 9/28، اولادي في 11/24، في أولها، الله يرضى عليهم.

الباحثة: حجة، تعرضتوا لمضايقات من جيش الاحتلال بعدما استشهدوا اولادك؟

الراوية: والله إحنا على البيت مجوش⁽¹⁰⁶⁾ علينا، أمّا يطلعوا على البلد. ما نحس، ما نشعر. عنّا اولاد طبعاً بنخاف عليهم، لأنهم بيحكوا بيحوا على بيوت الشهداء بدوروا⁽¹⁰⁷⁾ عالشباب، وإحنا يعني انقرصنا. المقروص بخاف من جرة الحبل، زي ما بقولوا. يعني أكثر من اللي صارلناشوراح يصير؟ هيه. إبنى الزغير، عمره 18 سنة، تصروع⁽¹⁰⁸⁾ على إخوته، طلع من يوم 5/8 زمّ سكّينه، وطلع، قلّي: يمّا بدّي أروح عند جيرانا أعملهم شغله. مش عارفه إيش. طلع على المستوطنة، طالع بدو يروح يعمل عملية، بدو يطلع على المستوطنة، وإحنا منعرف الولد بقى يروح يتعلم ويوخذ دورة السواقة. ونعرف هالولد راح يتعلم. أغربت الدنيا ومرجعش، وصرنا نسأل في الحارة، الراح نسأل والجاي نسأل، وهالاولاد بقولوا إنو علاء طلع على المستوطنة اللي فوق، وصارت الساعة 8 في الليل، وين أروح؟ ويلي! قعدت أعيط!⁽¹⁰⁹⁾ صرت أحكي بدون وعي، أدور أسأل، إلا بقولوا الجيش ماخدينه من الطور، جبل الطور في نابلس، أو جرزيم، من

(105) تتنهد.

(106) لم يأتوا.

(107) يبحثون.

(108) جن جنونه.

(109) أصرخ.

فوق البلد أخذوه على حوارة،⁽¹¹⁰⁾ حابسينه، ضاربينه، الله أعلم شو اللي صار معاه. هيّ
إلو الشهر الثالث، وشو بدو يصير؟ هيّنا انعمينا،⁽¹¹¹⁾ بطلنا نشوف! غير السكري وغير
الضغط، وكل يوم في المستشفى، وما بعلم شو بدنا نتحمل أكثر! شو بدنا نتحمل أكثر
من هالقد! الجبل بنهار. الله يرضى عليهم. والله يمّا إني من العبيد الصابرين. والله من
العبيد الصابرين. هيّنا صابرين على وعد الله. آه، آه، الحمد لله على كل حال. نحمد
الله. شو بدك أكثر من هيك أقول!

الباحثة: حجة، مرض السكري هاد صار معك بعد ما استشهدوا اولادك؟

الراوية: والله عندي من أول وزاد، بقيت يعني إشي بسيط، بس اليوم كل يوم
والثاني ماخذيني على المستشفى، رايحه جايّه، وعيني اليمين بطلت أشوف فيها. آه شو
بدّي أسوي! يعني أفلّك: فيه واحد بصفت إبنه؟ ما حدا. في حدا بصفت اولاده؟ قال
اثنين، والثالث هاذا ربنا إلهي رحمه، يعني ظايلو عمر.⁽¹¹²⁾ لمّا صرنا ندورّ عليه ونسأل
عنه، قالوا: طلع على الطور هذيك الليلة، مناموش.⁽¹¹³⁾ ضربوا مضيئات، وهالطخ على
البلد، وعلى فوق البلد، واللي عملوه ما حدا عمله. واللاّ قلنا الولد راح! يعني صاروا
هالناس إلهي بسمعوا الأخبار يتصلوا فينا، ويقولوا: إبنكم مسكو الجيش. وين نروح؟

الباحثة: هل أهون عليك يمسكو الجيش، واللاّ يروح ينفذ عملية في المستعمرة؟

الراوية: والله يا خالتي أنا انكسر قلبي. والله، والله، إني حمدت الله اللّي مسكو
الجيش. آه، يعني اولاديهذوك الاثنين شباب إلهي راحوا، كسروا قلبي. قلت: يمسكو
الجيش ولا يطخو! لأتوهالشباب كلها راحت مثل الذبايح ورا بعضهم. الله يجبرنا
ويعينّا على حياتهم! إحنا هالشعب الفلسطيني انكسرنا، واللّي بنكسر عمره ما
بنجبر.⁽¹¹⁴⁾ ضيعوا هالشباب. راحوا هالشباب طايشين ورايحين على وجوههم في
الجالا! مثل ما قالوا ناس: "ناس بتوكل جاج وناس تقع في السياج." كل هالشباب

(110) قرية قرب نابلس.

(111) أصبحنا لا نرى من شدة البكاء.

(112) باقي له عمر.

(113) لم يناموا.

(114) ما كسر لن يصلح بعد ذلك.

بتطبطح⁽¹¹⁵⁾ قاعده، وناس قاعده بتطلب في كراسي. شو العمل؟ الله لا يسامحهم البعيدين. الله لا يسامحهم. بس غير هيك ما بقول. شو بدنا نحكي؟

الباحثة: حجة، اولادكشو كانوا يشتغلوا؟

الراوية: والله إبنى سامي الله يرضى عليه كان في القوة 17، كان تقريباً بطلعو سنتين ثلاثة وهو في القوة 17. حصل عندهم هناك مشاكل، زعل، مشاكل، الله أعلم. دشر⁽¹¹⁶⁾ فراح صار يشتغل في مصنع حديد، كراسي. والشهيد ناهد يشتغل في الطراشة، الدهان. هاي شغلهم. الشهيد سامي، الله يرضى عليه، كان مطلوب إلو 4 سنين، مطلوب للجيش، وين ما راح بيقولولو: إسمك مطلوب يا سامي، دشر المصنع، دشر شغلك، الله يرحمه. والشهيد ناهد نفس الشيء، بقي ينزل يشتغل في الدهان في إسرائيل. قلولهم: هذول كل واحد يطلع إسمه وصورته على الحاجز، والله اثنين دشرُوا شغلهم وقعدوا من أول ما صارت الانتفاضة، خلص، والتهوا مع الشباب، وصاروا يروحوا وييجوا، والرزق على الله.

الباحثة: هلاً كل واحد كان عنده عيله، مين كان يصرف عليهم؟

الراوية: والله أبوهم، والله أبوهم قالهم: يابا⁽¹¹⁷⁾ بيعوا أرض وبيعوا زيت، واللي بدكمايآه، بديش تروحوا. هاي كل إشي عندكم، روحوا بيعوه واصرفوا ولا تنزلوا.

الباحثة: أبوهم شوبشتغل؟

الراوية: أبوهم والله ما يشتغل إشي. إحنا كنا في الكويت كلنا. في إنا هناك ابن ببعثنا مصروف، ورزقنا هون والحمد لله، هالزيتون وهالأرض، يعني غير هيك بس ما في عنده شغل، هينا عايشين والحمد لله. كافيين حالنا. كانوا عايشين في الكويت مدللين مرفهين. شو بدنا نعمل. الحمد لله. الله جابنا لنصيبنا، الله يرضى عليهم يماً.

الباحثة: زمان جيتوا من الكويت؟

الراوية: إيه والله، قبل أحداث الكويت، قبل ما صارت أحداث الكويت. سامي أجا بعد الأحداث. صارت وهو بالكويت، بقي يشتغل هناك بشركة الخليج، شركة تأمين

(115) تَقْتَل.

(116) ترك عمله.

(117) يا أولادي.

سيارات. كان متوظف هناك ويشتغل. ناهد كان عنا هون في البلد يشتغل، هون يروح ويشتغل في الدهان، ويتعلم شغلة الدهان، ونزل، وصار يروح ويجي، شو بدنا نعمل؟ الحمد لله.

الباحثة: تأثرت حياتكم الاجتماعية بعد استشهاد اولادك؟

الراوية: والله يا حبيبتي يمّا، مرّة الشهيد سامي بس توفى وبعد أربع شهور العدة، أخذوها إختوها. ومرّة ناهد عندي في البيت، بقت حامل بقالها شهرين، وهادي هيّ جابتها بنت عمرها سنة. واولاد سامي الله يرضى عليهم، والله بروحوا وبيجوا على أعصابنا. بيجوا بقعدوا عنا أسبوعين، هالثلاث شهور هذول، من أول ما أجوا المخسوفين هذول اليهود، ممنقدرش نجيبهم. صار منع عليهم. الله يرضى عليهم. الله بعلم فينا، روحنا معلقة فيهم. هالاولاد لمّا بيجوا علينا، بروحوا وبيجوا، وإحنا نعيط. والله بعلم بحالنا لمّا نوديهم عند أهل أمهم. هذين دورهم مسكرات، بنوهن ما سكنوهن. مليح إللي الواحد بقدر يوقف. مليح إللي الواحد بقدر يحكي. آه! أنا بروح أشوف الدور مسكرة مفش حدا [تبكي].. آخ! الصبر لله، ويا رب الصبر، ويا رب نطلب الصبر منك، الحمد لله، الحمد لله على كل حال، والله يا خالتي عايشين من قلة الموت، الواحد عايش على أعصابه.

الباحثة: بخصوص وضعكم الاقتصادي، تأثر وضعكم حجة بعد ما استشهدوا

اولادك؟

الراوية: طبعاً يا ستي، ولا،⁽¹¹⁸⁾ بقوا يشتغلوا ويروحوا، شباب ويجيبوا ويجوا. واليوم يعني أبوهم قاعد، وفي عندي عزابية، أنا وأبوهم وعيالهم، وإنت بتعرفي شو يعني هاذا. مش قليل علينا، الله يرضى عليهم، شو بدنا نعمل؟ نصيبنا هيك. والله انهرنا يمّا، والله انهدينا، آخ يا حبيبتي يمّا. شو بدّي أسوي يا حبيبتي؟ خلص مش قادرة أكمل.

الباحثة: لمّا استشهدوا اولادك غنيتيلهم، واللا عيطت، واللا نوحت عليهم؟

الراوية: والله نوحت يا خالتي. والله أقول: يا أبو الزغار، وين بدك لأكون على

دربك واردكّ يمّا [تبكي]، وين رايح يا حبيبي يا أبو الاولاد؟ وين رايح يا عنبره، يا مسك فايح، يا حبيبي؟ يمّا يمّا يا سامي، بارودتك إيد الدلال يمّا، تهلهلوا عليّ يمّا إللي ما شربتھا من روس الجبال، يمّا من روس الجبال صار غنم وروس غزلان. والله ما خلّيت إشي إلاّ قلته. ربّي يسامحني. حجّينا، والله بعلم بحالنا. ربما يغفرلنا ويسامحنا. والله كل إشي قلنا. شو بدنا نعمل؟ آخ يا حبيبي، الله يرضى عليهم شبابي يمّا، شبابي يمّا، يا شباب طلّعوا على البلاكين، يمّا، هبّ الهوى ترمي المناديل يا حبيبي يمّا! والله قبالي حطّوهم بقولهم: يمّا منين أكبّ ومنين أنادي ومنين تتردّ عليّ. آخ منين تتردّ عليّ يمّا. منين يمّا، آخ يا حبيبي يمّا. شو بدّي أقول؟ شو قلت؟ والله ما خلّيت إلاّ قلت! مش قادرة أزورهم! صاروا يقولوا حرام. صرت كل اثنين وخميس بمسّي عليهم، وبقرألهم الفاتحة أنا وأبوهم. وأبوهم زارعلم هالشجر جنّة خلاها بذيالهم،⁽¹¹⁹⁾ قلنالهم: جنّة في الدنيا وجنّة في الآخرة. إن شاء الله منطلع ومنروح، ونقعد عندهم، وما إلي خاطر أنزل من عندهم. آخ، والله يمّا بقلهم يمّا. وما بنادي ما تردّوا. تقلق علينا يمّا. بقول وبخرفهم وبحكي معاهم، شو بدّي أسوي؟ [تبكي].. الحمد لله. [بداية حلم]: صدّقي، لمّا بدنا نطلع الصبح، بدو يجي الظلام وأنا نايمة فوق القبور! واللأهالدار مبنية إلنا، أنا قاعدة فيها، طلعت على هالدرج، عندي هالدرج هالبلاط رخام بشرح القلب، فجأه واحد جاي عندي يعزّيني، وجايب معه شوال سكر. في واحد واقف أشّر تأشيرة وقال: هاذا إللي ضرب على الشباب، وفي واحد واقف عندي وحامل مقص شجر، ومن وراه وبِقْلِي أضربه. صحيت الصبح، جابوا البلاط، بلاط رخام بدّي أعمله لاولادي عند القبور. شفتها دار مبنية هالبلاط الرخام إللي إلها، قلت: والله يا جماعة، هالدار شفتها مبنية في الحلم، هاي دار الحق ودار الشباب. آه يمّا، وقبل ما استشهدوا بيومين شفت منام: إبنني الللي أكبر منهم متوفي في دار أختي، وأنا بفر⁽¹²⁰⁾ بذياله، وبصيح، وصوتي مش قادر يطلع، مش طالع. شو بدّي أقول؟ الحمد لله، الحمد لله على كل حال، شو بدّي أحكيك؟

الباحثة: قُلتيلي إنك بتزوريهم كل اثنين وخميس وبتخرفني معاهم، شوبتقوليلهم؟

(119) بجانبهم.

(120) أمشي.

الراويّة: بقلهم يمّا هي أولادكم، باجي أزورككم، وبدّي أشوفكم يمّا. يفشّ قلبي! شو بدّي أقول؟ ببقى أخرفّ فيهم وكأنهم قاعدين عندي تاطلعابني! هازي داره، قتلّو: يا حبيبي يا أبو أحمد منعمرّك، ونصلّحك هالدار. قتلّهم: حطّوا، حطّوا لكل واحد، كرمه⁽¹²¹⁾ لقصر سامي، وواحدة لقصر ناهد، مقعدوش⁽¹²²⁾ فيهن. كان يصلّحوا ويبنوا، شو بدّي أساوي؟ الحمد لله. ■

(121) عريشة عنب.

(122) لم يسكنوا.

مجلة الدراسات الفلسطينية، جميع حقوق النشر وإعادة التوزيع محفوظة لمجلة الدراسات الفلسطينية، ولا يمكن نشرها أو توزيعها إلكترونياً إلا بإذن من رئيس تحرير المجلة وذلك عبر الكتابة إلى العنوان البريدي التالي: majallat@palestine-studies.org
يمكن تحميل هذه المقالة أو طبعها للاستخدام الفردي وعند الاستخدام يرجى ذكر المصدر:
<http://www.palestine-studies.org/ar/mdf>